اذاعة اسرائيلية هدّدته بالاسم مع عدد من المراسلين اللبنانيين

سلطان سليمان: هذه المرّة كان الاسرائيليون هم من يكذب!

بيروت ـ «القدس العربي»

ـ من زهرة مرعي:

تميز الزميل سلطان سليمان من قناة حياة « آل بي سي» خلال متابعته الطويلة لتطورات العدوان الاسرائيلي الامريكي على لبنان بحماسته وتحليلاته. كما تميز بالمهمات الانسانية التي تجند لها مع زملائه في القناة حيث تحولوا في الكثير من الأحيان الى أفراد في الصليب الأحمر والدفاع المدني. سلطان سليمان وفريق حياة «ال بي سي» تعرضوا لتهديد جدي من قبل المعتدين لذلك تم اجلاؤهم الى منطقة صور في النصف الثاني من أيام الحرب الطويلة.

مع سلطان سليمان كان هذا الحوار الذي أضاء على الكثير من التفاصيل الانسانية:

■ ما هي حقيقة تعرضك للتهديد من قبل العدو الاسرائيلي أثناء عملك في الجنوب؟

■ التهديد العلني جاء عبر الاذاعة المشرقية التي تبث من فلسطين المحتلة ويعمل فيها العملاء الذين كانوا بامرة أنطوان لحد خلال احتلال الجنوب. هذه الاذاعة حددت أسماء المراسلين خلال تعليقها السياسي، ومما قالته أن سلطان سليمان مراسل «آل بي سي» يبث الأضاليل والأكاذيب ويتحدث عن مجازر وهمية في عيترون ومروحين وهي عبارة عن أحداث قضاء وقدر. وقالت الاذاعة بالحرف أن اللبنانيين الشرفاء سوف ينتقمون من هذا الكذاب. هذه التفاصيل علمتها من المعنيين في القناة ومن ثم رصدت الاذاعة بنفسي ووجدت تكراراً للتقرير نفسه على مدى أيام.

■ هل أخذتم هذا التهديد على محمل الجد؟

■ في الأيام الأولى لا. لكن بعدها تلقيت اتصالاً من رئيس مجلس الادارة بيار الضاهر يطلب مني الرحيل عن مرجعيون الى ما بعد منطقة الحاصباني وذلك بناء على معلومات وليس تقديراً وكان الوقت ليلاً فأرجأت الرحيل للصباح. في الليل تم نقاش مع الزملاء المتواجدين في مرجعيون وهم من العربية والمنار والجزيرة. في العاشرة من اليوم التالي قررت الانتقال الى ابل السقي حيث يتواجد فندق أو نكمل باتجاه حاصبيا بحيث نبقى على مسافة معقولة من مرجعيون. وتم الاتفاق على حجز مكان في هاتين البلدتين لكافة الزملاء ورحلنا الى ابل السقي ومن ثم الى حاصبيا للحجز احتياطاً. وما أن وصلت الى حاصبيا حتى تلقيت اتصالاً من «آل بي سي» يفيد بضرب كافة أعمدة الارسال الخاصة بنا وبضرورة التواجد في حاصبيا وليس ابل السقي. ولدى انتقال الفريق كاملاً من ابل السقي داهمتنا الغارات الكثيفة فأخفينا السيارات الثلاث التي كانت بحوزتنا بما فيها سيارة البث المباشر تحت الأبنية وانتشرنا مع تصوير ما يحدث. وعندما فقدت الطائرات أثرنا بدأت غاراتها تتركز خلفنا حيث كان يتبعنا الزملاء في الجزيرة والعربية والمنار وكانوا يشكلون موكباً يبلغ حوالي ثماني سيارات مع سيارات البث المباشر. وعندما ضربت الطرقات حولهم انتشروا في الحقول الى أن اتصلت بالصليب الأحمر لانقاذهم فتم ذلك من دون السيارات التي سحبت في اليوم التالي.

■ لكن الاقامة في حاصبيا لم تدم طويلاً؟

■ اطلاقاً بل توجهنا صوب البقاع ومنها الى بيروت حيث مكثنا لأيام توجهنا بعدها الى صور وذلك بالتزامن مع مجزرة قانا وبقيت هناك حتى ما بعد وقف اطلاق النار.

■ للمرة الأولى يتم استهداف الاعلاميين بهذا الشكل الواضح. هل ذلك ناتج عن فعالية الاعلام العربي واللبناني تحديداً في كشف الحقائق؟

■ في تاريخ الصراع العربي ـ الصهيوني كنا نحن من يكذب اعلامياً وهم يقولون الحقائق. في هذه الحرب قلبت الأدوار وهذا ما أزعج الاسرائيلي. نحن عكسنا الحقيقة وفي بعض الأحيان أقل مما هي خوفاً على مشاعر المشاهدين لأنه بتصورنا لا يستطيعون متابعة هذا الحجم من الاجرام. ليس بامكاني نشر صورة رجل ضربته طائرة الاستطلاع حيث كانت يده ترفرف بعيداً عن جسده الذي كان يرفرف أيضاً قبل أن يسلم الروح. كما لم يكن بالامكان تسليط كاميرا البث المباشر على مشاهد ضحايا عيناثا للرعب الذي تحمله كأن نرى رأساً منفصلاً لطفل صغير.

■ هل تلقيتم تعليقات من الصحافة الأجنبية حول عملكم؟

■ تلقيت العديد من الاتصالات من الزملاء في «سي ان ان» في أطلنطا يثنون على دورنا كاعلام عربي وتمنوا لو يستطيعون القيام بدورنا. كما تمت استضافتي ثلاث مرات على «السي ان ان» لتقديم قراءتي لما يحصل وكذلك على قناة «بي بي سي».

■ هل كان للاعلام دوره في تبديل المواقف السياسية على الصعيدين العربي والدولي؟

■ ثمة عاملان لعبا دوراً في هذه المعركة، والمقاومة هي العامل الأول. انها المرة الأولى التي تواجه بها اسرائيل بمقاومة شديدة البأس كما حصل في الجنوب اللبناني. تميزت المقاومة بتنظيم كبير وبروح كفاحية عالية، وباصرار على الصمود والمواجهة والتمسك بالأرض. واقعاً كل المواقع التي احتلتها اسرائيل كان بعد وقف اطلاق النار وأقول ذلك كشاهد عيان.

■ حتى مارون الرأس؟

■ دخلوها بعد أسبوع وبعد تدميرها بالكامل، وهي كانت مكلفة ودرساً لهم بعدم التفكير بدخول قرى أخرى. لكنهم جربوا دخول بنت جبيل وكان الدرس أشد قساوة، لذلك هم اعتمدوا منطق التدمير المنهجي للقرى. أما العامل الثاني المذهل هو صمود الناس. ولحظة وقف اطلاق النار توجه 400 ألف من النازحين مباشرة الى القرى المدمرة. كذلك لم نكن نجد في الجنوب من يقول «زهقنا» لا نريد حرباً. بيوت مدمرة، بساتين محروقة، شهداء والجميع بصوت واحد يقول «فدى المقاومة فدى السيد نصرالله». مقاوماتنا السابقة لم تشهد هذا الشكل من الاحتضان والتضامن الشعبي معها. نحن كاعلاميين كنا نعكس الحقيقة بالدقة الممكنة ولم تعق المقاومة حركتنا. كل ما طلب منا أن لا ننقل مباشرة اطلاق الصواريخ. وعندما نقلت سكاي نيوز ضرب الصواريخ مباشرة توجهوا الى مراسلها بكل تهذيب بأن لايكررها بل أن يبث لاحقاً. وفي المقابل كان الجيش الاسرائيلي يتعاطى اعلامياً بتعتيم كامل.

سلطان سليمان (القدس العربي)

لذلك لعب الاعلام دوراً مهماً وكبيراً في هذه المعركة.

■ من المعروف أن قناة الحياة «آل بي سي» توالي قوى 14 شباط (فبراير) فهل كانت تفرض عليك شروطاً معينة في تغطية العدوان؟

■ لم تفرض «آل بي سي» شروطها عليّ لكنها ألغت لي تقريرين فقط خلال شهرين من العمل وهذا يحدث في أية وسيلة اعلامية. كنت صوتاً متمايزاً عن الخطاب السياسي للمؤسسة، وكان للمؤسسة قرارها بأن يبقى هذا الصوت في أرض المعركة. وأعتبره قراراً واعياً ومسؤولاً على صعيد مسألة التوازن. موقفي السياسي معروف في المؤسسة قبل دخولي للعمل.

■ هل تمنيت مرة أن لا تكون في الجنوب؟

■ أبداً أنا أنتمي لهذه الأرض ولهذا الشعب ووجودي في المعركة ليس مهنيا فقط. كنت في معركة ايصال هذه البشاعة وهذه الجرائم الى العالم. نحن قدمنا الحقيقة التي كانت بشعة لدرجة تفوق قدرات التحمل. استمديت الشجاعة من معرفتي بوجود بشر في مواقع أخطر من تلك التي كنت فيها انهم المقاومون. ومهما فعلنا فنحن دونهم بكثير من حيث الملاحم التي قاموا بها بدمهم. نحن المراسلين الذين كنا على خطوط النار كان لدينا ايمان بأن شعبنا لا يمكن أن يهزم، وبأننا سنربح المعركة.

■ ألم تضعف حين كنت تحادث أطفالك؟

■ أطفالي هم سبب أساسي في مزيد من الصمود والمواجهة. هؤلاء الأطفال لا يجب أن يرثوا وطناً ذليلاً ومحتلاً. واذا قتل والدهم في هذه المعركة فذلك سيكون وساماً على صدورهم.

■ وهل كان الموت قريباً منكم في بعض الأحيان؟

■ أكثر من مرة. الخطر اقترب كثيراً بعد وقف اطلاق النار عندما دخلنا كفريق أحد البساتين لتصوير موضوع عن القنابل العنقودية فشعرت بخطر شديد على نفسي وعلى المصور.

■ هل من ذكريات لا يمكن أن تنساها عن هذه المعركة؟

■ المشاهد التي لا أنساها اجلاء بعض المواطنين في سيارات «آل بي سي» خلال الهدنة النارية وبينهم رجل جريح في عيترون قيل لي أنه بعيد 200 متر عن مكان تواجدنا، قصدته مع رجل من القرية والمصور مالك طوق. وجدت الرجل في كامل أناقته وهو يولول وزوجته العجوز في ملابسها الداخلية ألبستها الفستان والمنديل والعباءة وحملناهما معاً الى السيارة مع حوالي 12 شخصاً. وعندما وصلنا الى المستشفى أردت التعرف الى اصابة الرجل العجوز فكانت قد اخترقت فخذه بحيث يمكن رؤية الضوء عبرها، وعلمت أن زوجته كانت تداويه طوال عشرة أيام بالماء والملح. لقد صعقت بما قام به هذا العجوز الذي بدّل ملابسه منتظراً الصليب الأحمر. عدد الضحايا من العجزة ناتج عن التمسك بالأرض وهم فضلوا الموت فيها على الرحيل عنها.

■ وهل من ذكريات سجلتها بعد وقف اطلاق النار؟

■ كنا في مهمة من عيناثا الى صف الهوا حيث أوقفني رجال المقاومة ناصحين أن لا أقترب أكثر لأن الاسرائيليين يسحبون آلياتهم المدمرة. فكانت القصة الاعلامية تكمن بالنسبة لي في هذا المشهد، فأكملنا الطريق مع الفريق كاملاً. شاهدنا الاسرائيليين يسحبون آلياتهم من وادي كونين، حمل الشباب الكاميرات وهجمنا نحوهم. وكانت ردة فعلهم الأولى الهروب أمامنا. وهذا مشهد لا يمكن أن أنساه. وعندما انتبه أحدهم بأننا اعلاميين وجه رشاشه نحونا طالباً أن نتراجع الى الوراء قبل أن يطلق النار. لكننا بقينا في مكاننا. هذا المشهد كان بالنسبة لي معبراً جداً عن تاريخ الصراع العربي الصهيوني. على مر السنوات العرب يهربون والصهاينة يلحقون بهم. في هذه المرة هربوا منا ونحن لسنا بمقاتلين. وبعد لحظات ركزنا البث المباشر وهم خلفنا يسحبون دباباتهم. انه مشهد أشعرني بالانتصار.

■ هل من تعليق لديك على تواجد الزميلات المراسلات في هذه المعركة؟

■ في مرجعيون كانت معنا الزميلة كاتيا ناصر من الجزيرة، وفي المرحلة الثانية في صور كانت معنا الزميلة ريما مكتبي من العربية. انها تجربتهما الأولى في الحروب، وأنا تعاملت معهن بأبوة ومد يد المساعدة. وجود الزميلتين في هذا المكان وفي ظل حرب شرسة هو بطولة استثنائية. ما قمن به ممتاز جداً واداؤهن كان ناجحاً. هكذا مقاومة لديها هؤلاء الاعلاميين والاعلاميات وهكذا شعب صامد لا يمكن أن يهزم.

اخبار فنية

شخصيات تبحث عن قصه في أمريكا!

حيفا ـ من ميسون أسدي:

رنين بشارات

بادرت جمعية «أولاد السلام» وقبل اكثر من سنة، إلى انتاج عمل مسرحي يضم (8) ممثلين محترفين (4 عرب و4 يهود). النص ألفه الكاتب الفلسطيني المقدسي محمد ضاهر وأخرجه الأمريكي ومصمم الحركة للمسارح الجماهيرية بيلي يالوويتز. العمل بعنوان « 6 شخصيات تبحث عن قصة» ويتحدث عن موضوع الهوية والأرض والاحتلال والحرب وما إلى ذلك من مواضيع الصراع العربي الإسرائيلي.

تم عرض المسرحية حتى الآن، في أكثر من مدينة وقرية عربية ويهودية وأثارت الكثير من الجدل والتساؤلات وحتى إلى غضب البعض، نوعا ما.. فبعد كل عرض كان يتم فتح باب النقاش مع الجمهور، وهو الهدف الأساسي من العرض.

الممثلون المشاركون في العمل هم: رنين بشارات، شادي فخر الدين، شادن أبو العسل، حنين طربيه، افرات اونغارو، ليئات كوهين، اوران ديساو، نوريت برنطي.

وستسافر مجموعة الممثلين يوم 2006/9/20 ولغاية 2006/10/15، إلى ولايتي «نيو يورك وفيلدلفيا» في أمريكا للمشاركة في عدة مهرجانات عالمية.

يشار إلى ان جمعية «أولاد السلام» التي أقيمت سنة 1988، على يد الراحلة ياعيل درويانوب، بهدف التربية الديمقراطية والتسامح وحقوق الإنسان من خلال المسرح والتعاون المشترك بين المشتركين والموجهين من اجل الخلق والإبداع في القرى والمدن المختلطة من العرب واليهود، والتي قامت ميليس ليفين بوسكوبيتش، بتولي ادارتها وانضمت إليها العاملة لاجتماعيه رلى حمدان، كنائبة لها.

الشكل الخارجي و تأثيره على شخصية الطفل في «كل يوم» على قناة الجزيرة للأطفال

■ الدوحة ـ قطر: تعرض قناة الجزيرة للأطفال يوم الثلاثاء 19 سبتمبر2006 على الساعة 30:12 ظهرا بتوقيت غرينتش حلقة جديدة من البرنامج اليومي ّكل يوم ّ، نستطلع خلالها بعض آراء الأطفال حول العلاقة بين أناقة الشكل و جمال المضمون، و نقترب من حياة أطول رجل في العالم، كما نتعرّف مع مجموعة من الأطفال على رقصة شعبية تراثية.

يعرض برنامج ّكل يوم ّ ثلاثة تقارير، الأول من السويد نستمع فيه إلى آراء مجموعة من الفتيان و الفتيات حول مدى تأثير الموضة على حياتهم و شخصيتهم. و نلتقي في سورية مع أطول رجل بالعالم، و قد جاء إلى العاصمة دمشق برفقة أقصر رجل و امرأة في العالم. كما نزور مدينة العين في دولة الإمارات العربية المتحدة لنتعرف على مجموعة من الأطفال شكلوا فرقة لرقص العيّالة و هي من أبرز الرقصات التراثية الشعبية.

يعاد عرض هذه الحلقة من برنامج كل يوم في نفس اليوم على الساعة 6 مساءً بتوقيت غرينتش.

بعد رفع مسلسلاتهن من خريطة رمضان:

نادية الجندي والهام شاهين وشيرين سيف النصر يهددن بوقف التعامل مع التلفزيون المصري!

الهام شاهين

شيرين سيف النصر

ناديا الجندي

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من محمد عاطف:

تمر الفنانة نادية الجندي بحالة نفسية سيئة وكذلك الهام شاهين ونيرمين الفقي وشيرين سيف النصر.. وذلك بعد ان تأكدن من استبعاد مسلسلاتهن من الشاشة الصغيرة في رمضان والسبب الرئيسي عدم انتهاء تصوير الحلقات في وقت مناسب وهناك اعمال لم تصل الى نصفها بعد مما يشير الى عدم اللحاق بالعرض على الشاشة الصغيرة في شهر الصيام خاصة ان التلفزيون المصري والقنوات الفضائية العربية اتفقوا على عدم استلام اي مسلسل لم تكتمل حلقاته للعرض في شهر رمضان وان تكن الاولوية للاعمال المكتملة فقط.

في مسلسل نادية الجندي «من اطلق الرصاص على هند علام» تأليف يسري الجندي واخراج خالد بهجت وبطولة ابراهيم يسري وسلوى خطاب ولقاء الخميسي وخالد الصاوي ومادلين طبر وانتاج محمد فوزي.. ما زال التصوير فيه بطيئا بسبب قلق نادية الجندي من المستوى العام للمسلسل وحرصها الشديد على نجاحه والا تتعرض لانتقادات حادة كما حدث لها في مسلسل «مشوار امرأة».. وهذا يؤدي الى حالة من العصبية الشديدة لها ونشوب مشاكل تؤدي الى تعطيل التصوير.

مسلسل «من اطلق الرصاص على هند علام» تدور احداثه حول صحافية متزوجة من عالم ذرة يلقى مصرعه في ظروف غامضة فتحاول هي كشف الحقيقة لتواجه الفساد بكافة انواعه.. خاصة مافيا اغتيال العلماء.

وقد استبعدت شركة صوت القاهرة مسلسلات «احلام لا تنام» بطولة الهام شاهين ونبيل الحلفاوي تأليف سماح الحريري واخراج مجدي ابو عميرة.. و«حياتي انت» بطولة احمد ادم ودلال عبد العزيز واميرة العايدي واخراج محمد عبد العزيز.. و«اصعب قرار» بطولة شيرين سيف النصر واحمد بدير وسمير صبري واخراج عمرو عابدين.. و«لم تنس انها امرأة» بطولة نيرمين الفقي ومحمود قابيل واخراج احمد يحيى.

هذه المسلسلات تم رفعها من خريطة رمضان لعدة اسباب منها: عدم انتهار بعض الحلقات.. او تسويقها خارجيا وتغطية تكاليفها كاملا وبالتالي بعض القنوات العربية طلبت عرضها حصريا.. او وجود مشاهد لا تتناسب مع روحانيات الشهر الكريم.

وتم الاتفاق على عرض مسلسلات شهر رمضان بين مختلف القنوات بشكل مختلف عن السنوات السابقة.. مثلا تتكون الحلقة من 43 دقيقة بخلاف دقيقتين في الترات.. وسوف يتخلل عرض المسلسلات في التلفزيون المصري اذاعة اعلانات لمدة ثلاث دقائق على ثلاث مرات في الحلقة بكل مسلسل.

فور سماع النجمات هذا الخبر اصبن بالاكتئاب ويحاول المخرجون السيطرة على الموقف لان الهام شاهين وشيرين سيف النصر رفضتا استكمال تصوير مسلسليهما لانهما حاولا التنافس للانتهاء من العمل والدخول في «معترك» الدراما الرمضانية.

الهام شاهين وشيرين هددتا التلفزيون بمنع التعامل معه لانهما تشاركان في اعمال من انتاج صوت القاهرة التي يجب ان تقف مع النجوم وتساند اعمالهم المختلفة وسوف تتعاونان مستقبلا مع القنوات الفضائية التي تحقق للنجوم ما لا يحققه التلفزيون الوطني.

فضائيات

جنازة 11/9 التي شاركونا بها اجباريا واستقالة المجانين من المشاركة في «الارهاب»!

توفيق رباحي*

■ بعد تجارب عدة فشلت كلها، يبدو ان المسؤولين في الخارجية الامريكية اهتدوا الى طريق حل لمشكلتهم التخاطبية معنا. اكتشفوا امرنا فجاؤونا بواحد منهم يفهمنا ويتكلم لغتنا مثلما نحبها.

اسمه البرتو فرناندیز. وجهه مألوف في التلفزيونات العربية. لو جرى سبر اراء عنه في امريكا لقال اكثر الناس انهم يجهلونه. لكن هذا الاخ الكوبي يتسلل شيئا فشيئا كمن يريد ان يصبح صديقا لعائلة او قبيلة ما. يتكلم العربية بطريقة تختلف عن الاجانب عندما يتكلمونها. يختار كلماته فيلقيها بقوة لا تشعر بها.

درس الادب العربي في جامعة اريزونا وسُحر بالشاعر محمد الماغوط، بحسب مجلة «نيوزويك». لكن الأهم، في نظري، انه يعرف النفسية العربية اكثر من غيره من الموظفين الامريكيين الذين يضطرون لتعلم اللغة العربية.

يُعتقد انه ادلى بنحو 200 مقابلة تلفزيونية مع قنوات عربية السنة الماضية وحدها. يعني 16,6 مقابلة في الشهر، اي ظهر على الشاشات يوما بيوم. هناك مذيعون مشاهير لا يظهرون بهذا الكثافة. اذا استثنينا القنوات المحلية التي نادرا ما تطلبه، سنقول ان مقابلاته كانت مع الفضائيات الكبرى، ما يغري بالقول انه «سكن» خمسا او ست قنوات بعينها.

وتفيد تقارير انه، منذئذ، كثّف حضوره التلفزيوني حتى ظهر في شهر تموز (يوليو) الماضي وحده، نحو 60 مرة في قنوات عربية، بمعدل مرتين في اليوم.

رغم ذلك، الى اليوم لم تتفق الفضائيات العربية على تعريفه. في اغلب الاحيان هو المتحدث باسم الخارجية الامريكية، لكن هو احيانا اخرى مدير دائرة الشرق الاوسط في الخارجية.

من الصعب الجزم بمدى تأثير كلام فيرناندیز على المشاهد العربي لان الخراب الذي الحقته الادارة الامريكية الحالية بصورتها في المنطقة العربية اصعب من ان يرقّعه موظف متواضع غير امريكي الاصل. لكن من السهل القول بأن المشاهدين العرب في غالبيتهم عاطفيون. والبرتو يشبههم شكلا ويتكلم لغتهم. الشبه من حيث المظهر يفيد في تكريس نوع من الشعور بالقرب. والكلام بعربية اقرب الى السليمة، رغم اللكنة الطريفة (مثل قوله «اللبنان» و«الامريكا» و«الوهشية»، اي الوحشية) يترك شعورا ايجابيا بان هذا الذي كلف نفسه عناء تعلم لغتنا يكنّ لها ولثقافتنا بعض الاحترام.

مع كل الود ايها الالبرتو، مَن يجعل مهمتك مستحيلة هم جماعة البيت الابيض، وليس الذين تتوجه لهم بظهورك اللطيف المتكرر. اسأل هل نجحت القناة الكسيحة التي اسمها «الحرة» وشقيقتها الكبرى «سوا» بميزانيتهما ووقوف الكونغرس وراءهما؟ واسأل هل نجح «اللبراليون» العرب في الصحف الخضراء والصفراء وفي القنوات «العربية» والغربية؟ لو وصل احد هؤلاء الى قلب وعقل المشاهد والمواطن العربي، اضمن لك الوصول الى ابعد من القلب والعقل.

لهذا قلت في بداية هذا النص ان الاميركيين اهتدوا الى طريق الحل ليس الى الحل ذاته. بيد ان هذا الطريق وعر وشاق وغير معبّد.

القادم أفحش!

■ كثيرة، مملة، مقرفة ومعذبة للبشر طريقة احياء ذكرى تفجيرات 9/11 بالقنوات الفضائية الاسبوع الماضي.

وكي تكتمل الدائرة، ألقت «القاعدة» بشريط هنا واخر هناك وقودا لمناقشات تلفزيونية طاردت المشاهد (وغير المشاهد) مثل الكابوس.

قبل سنتين اشتكيت في هذه الزاوية من ان لا مهرب لنا من احداث 9/11 والاستغلال التلفزيوني لها. لم اكن اعلم ان ما ينتظر مستهلكي التلفزيون اكبر، بل افحش.

غصبا عن اهلك، وانيما كنت تعيش وبغض النظر عن القناة التي تشاهد، فانت عشت الذكرى الخامسة لتفجيرات 11 ايلول (سبتمبر) كما لو أنها حدثت في قريتك.

لا اختلاف في ان تلك الاحداث غيّرت وستغيّر تاريخ وجغرافيا العالم. ولا اختلاف في ان المنطقة التي جئنا منها ستتحمل وزر تلك الاحداث والاغلبية من التغييرات الحاصلة والتي ستحصل بسببها. ولا اختلاف في ان تبعات تلك الاحداث تستحق اكثر مما نتصور من اهتمام ومتابعة لادق التفاصيل. ولا اختلاف في ان ما خفي اعظم من تبعات ما حدث.

لكن الفضائيات العالمية كانت كمن ينتظر جنازة يشبع فيها نواح. اغلب المعالجات سطحية، واغلبها استعان بالمرآة لاعادة سرد ما حدث وكيف اعدّت له القاعدة.

لم نسمع سؤالا واحدا عن حال الدنيا يوم 2030/9/11. كل ما هناك ان تآمرت جميع القنوات كي تجعل منا سجناء جورج بوش والظواهري، الاول بغبائه والثاني بجنونه. كلاهما يؤمن بانه الخير المطلق والاخرون هم الشر المطلق. وكلاهما لم يعد له من هدف في الحياة غير شن الحروب.

ما فرضته علينا القنوات الفضائية هذا الاسبوع من كلام عن بن لادن وبوش و11 ايلول/سبتمبر تجاوز الاشباع وبلغ درجة الضرر ما يتيح المطالبة بتعويض.

السنة المقبلة سيذكروننا بانها الذكرى السادسة لتلك الاحداث المشؤومة، وبعدها الذكرى السابعة، وهكذا دواليك الى ان تحل الذكرى الحمسون ثم المئة. خوفي انهم سيقنعونا بان لرقم 6 دلالات خاصة، ولرقم 7 دلالاته هو الاخر، ولرقم 25 و50 و100 فيجعلوا من الذكرى «مندبة» اخرى نصلي من اليوم كي لا تكون وان فرضوها ندعو «اللهم لا نسألك رد القضاء لكن نسألك اللطف فيه».

التطور الجديد

■ ربما تذكرون انه قبل سنوات كانت الحكومات العربية تسارع لوصم مرتكبي «اعمال ارهابية» ما بالمجانين والاصرار على تصنيف ما يقولون ضمن جرائم الحق العام، وان ايادي اجنبية امتدت للاضرار بالبلد. الاردن (والدول التي تصنّف نفسها «آمنة») نموذج جيد، فكل من فكّر في ايذاء عسكر او مدنيين اسرائيليين، مثلا، هو اما مجنون او مجرم حق عام.

اليوم اختلف الامر وتطور. بسبب هذا التطور لم يستح التلفزيون السوري ولم يتردد في القول ان محاولة الهجوم على السفارة الامريكية بدمشق عمل ارهابي قام به سوريون.

لو حدثت المحاولة قبل اربع سنوات او خمس سنوات، لاقسم التلفزيون السوري باغلظ الايمان ان مرتكبيها «مجانين» وان «ايادي خارجية» امتدت واستعملتهم لـ«المس باستقرار هذا الوطن الآمن»، ولما تجرأ على القول بسرعة انهم سوريون ووصفهم بالتكفيريين.

وعندما اقول التلفزيون فالامر يتعلق بالحكومة او السلطة او الناس الماسكين بزمام الامور.

سبحان مغيّر الاحوال! تغيّرت الدنيا وتغيّرت معها الانظمة الستالينية بقنواتها التلفزية المتحجرة، ليس لانهم انتبهوا الى ان نكتة الجنون والايادي الاجنبية لم تعد تنطلي على احد، بل ليبلّغوا الامريكيين رسالة من اثنتين، واحدة «نحن ايضا عرضة للارهاب مثلكم»، والاخرى «هذا هو البديل عنا اذا ما كنتم تفكرون بالتخلص منا».

امبراطورية «الجزيرة»

■ الان، وبعد الحلقة الاولى من «سري للغاية»، حقّ لامريكا ولحلفائها في العراق وللعراقيين الغاضبين على الاعلام العربي الاطمئنان على قناعتهم بان قناة «الجزيرة» هي «صوت الارهاب في العراق» او اي شيء من هذا الذي يقولونه في انتقادهم لها باستمرار. وحقّ لهم شحذ سيوفهم. ذلك ان الحلقة اياها عبارة عن دعوة كريمة من «الارهابيين» في العراق لمندوب «الجزيرة» ليقضي عندهم بضعة ايام يشاهد ويسجل ثم يروّج «انجازاتهم» للعالم.

الحرب وحملات التشهير التي تتعرض لها القناة القطرية مبنية كلها على تحالفها المزعوم مع «الارهابيين» في العراق ومع نظام البعث البائد. احد المواقع التي جعلت من تحطيم «الجزيرة» هدفا لها (تعلنها بصراحة وتقول انها تعمل لمنع وصول القناة الى امريكا حتى لا تتحول شوارعها مثل شوارع غزة وبغداد تسبح في الدماء) اسمه Aim، اختصارا لـ«Accuracy In Media» والاخر اسمه Memri اختصارا لـ«The Middle East Media Research Institute». لو اطلّع احدكم على هذه المواقع واخرى تديرها لوبيات مشابهة في امريكا واستراليا لجزم ان هؤلاء الناس يحاربون امبراطورية تسعى لانهاء وجود امريكا ونشر ثقافة القتل والتدمير. بحسب هذه المواقع، «الجزيرة» هي سبب «الخ..» الذي غرقت فيه امريكا وحلفاؤها بالشرق الاوسط. رغم ان اي قناة تحلم بالنزول ضيفة على هؤلاء «الارهابيين»، يحق للخصوم الصراح ملء افواههم انها فعلا كذلك. ووجب على اصحاب «الجزيرة» الاستعداد الى مرحلة اخرى من الصداع والدفاع عن النفس لاثبات البراءة.

---

* كاتب من اسرة «القدس العربي»
toufik@alquds.co.uk

وارضيات